

النقد التاريخي عند ابن حزم

الأستاذ خنوف شعيب

أستاذ باحث - برج بوعرريج

ChouAibKHANOUFe@hotmail.com

- نقد السند و المتن نموذجاً -

إنتقد ابن حزم (ت 456 هـ) ⁽¹⁾ الكثير من الفرق الكلامية كالمعتزلة ⁽²⁾ و المرجئة ⁽³⁾ و الكرامية ⁽⁴⁾ و الشيعة ⁽⁵⁾، كما انتقد غيرهم كالثنوية و الدهرية و البراهمة و اليهود و النصارى. و لم يسلم منه حتى شيوخ المذاهب الفقهية السنية ⁽⁶⁾.

و بحكم سعة اطلاع ابن حزم على التاريخ الإسلامي و معرفته المفصلة للكثير من الوقائع و الأحداث التاريخية الهامة بكتب السير و المغازي ، استطاع أن ينتقد عدة أخبار سندا و متنا و بطريقة جميلة و عجيبة استحقت التنويه .

و من أمثلة ذلك أنه - ابن حزم - لما انتقد اليهود في سفر التكوين «في أن الإنسان لا يعيش إلا 120 سنة» ، و عقب عليه بأن سام بن نوح عاش 600 سنة ، وأرفخشاذ بن سام عاش 4605 سنة ، و عابر بن شالح عاش أربعمئة سنة ⁽⁷⁾.

و المثال الثاني هو انتقاده -اليهود- أيضا في عمر جد نوح عليه السلام حيث يقول - ابن حزم- أن التوراة تذكر متوشالح بن حنوك بن مارد عاش 669 سنة، و أنه ولد له لامك و ابن 1807 سنة.

و أن لامك إذ بلغ 182 سنة و لد له نوح عليه السلام ، فلاشك أن منوشالح كان اذ ولد نوح عليه السلام كان بن 600 سنة اذ مات منو شالح ⁽⁸⁾.

و من أمثلة ذلك أيضا انتقاده لليهودية في سن سام بن نوح عليه السلام فذكر عنهم أنهم قالوا- اليهود- « أن نوحا لما بلغ 500 سنة من عمره ، و لد له يافث و سام و حام ، ثم ذكر أن نوحا إذا بلغ 600 سنة من عمره كان الطوفان و لسام يومئذ مائة سنة ، و قالوا بعد ذلك أن سام بن نوح لما كان ابن مائة سنة ولد أرفكشاذ لستتين بعد الطوفان ، و هذا الخبر

في نظر ابن حزم لا يصح، لأنه هذا كان نوح اذ ولد له سام و هو ابن 500 سنة، و بعد 100 عام كان الطوفان، فسام حينئذ ابن مائة سنة، و اذ ولد له بعد الطوفان بسنتين أرفكشاد، فيكون ابن مائة سنة و سنتين أي (102) و في توراتهم - اليهود - أنه كان ابن مائة سنة (9).

و الشاهد الثالث على النقد المتني، مذكرو ابن حزم عن عدد ذكور بن جرشون و بن فهات و بني مراري ابناء لاوي من ابن شهر أنهم كانت اعدادهم على التوالي 6500 و 8600 و 6200 و قد ورد مجموعهم في التوراة باثني و عشرين ألف، و علق ابن حزم عليها بقوله: «و هل يجهل أحد أن الأعداد المذكورة يجتمع منها و احد و عشرون الفا و ثلاثمائة و ليس اثنان و عشرون الفا» (10).

و الشاهد الرابع على النقد المتني عند ابن حزم، ان قصة زواج يهوذا بابنة شوع في فترة بيع يوسف عليه السلام و دخول أبويه إلى مصر مع جميع أهله، انجبت له هذه الأخيرة أولادا ثلاثة وأن ابنه الأكبر لمبلغ زوجه ثم مات بعد دخوله بها فتزوجت بعلمه من أخيه فمات عنها، بعدما تزوجها يهوذا والد زوجها فولد له منها توأمان. فهذا الخبر في نظر ابن حزم مخالف لطبيعة البشر و مخالف للجليلة و البنية البشرية بوجه من الوجوه. لأن يوسف عليه السلام لما رعى الغنم مع إخوته كان يبلغ من العمر 16 سنة و لما بيع كان يبلغ 17 عاما، و لما دخل أبوه مصر مع جميع أهله كان ابن 39 عاما، أي الفترة من بيعه إلى دخول أهله عليه قدرت بـ 22 سنة. فيستحيل في نظر ابن حزم ولو افتراضنا أن يكون زواج يهوذا بابنة شوع بعد يوم واحد من بيع يوسف و أنها تزوجت الأبناء الثلاث 14 سنة فلم يبق من 24 سنة إلا 07 أعوام، فكيف استصاغ عقلا أن يكون لرجل ابن 08 سنوات و لدان؟! (11).

و الشاهد الخامس من صور النقد المتني لابن حزم، انتقاده لخبر دخول 51 رجلا بعد موسى عليه السلام و تعميرهم فيها - مصر - حوالي 217 سنة، و بعد خروجهم إلى سيناء أصبح عدد رجالهم الذين يفوق سنهم 20 سنة بـ 603550 ألف رجل بالإضافة إلى الأطفال و النساء يكون المجموع حوالي 2 مليون شخص؟! (12).

و الشاهد السادس - انتقاده لبعض رواياتهم للخرافات و الأباطيل في كتبهم الخرفة، منها أنهم رويوا أن لحية فرعون كان طولها 760 ذراع. و أن طائرا باض و هو في السماء، فوقع البيض على 13 مدينة فهدمتها كلها (13).

و الشاهد السابع من صور النقد المتني لابن حزم ، انتقاده لخبر جباية سليمان عليه السلام، والتي قدرت بستمائة ألف قنطار وستة وثلاثين ألف قنطار من ذهب، وهذا بإقرار اليهود بأنه لم يملك سليمان عليه السلام قط إلا فلسطين والأردن والغور، وأنه لم يملك رفع ولا غزاة ولا عسقلان ولا صور وصيدا. فهذه الجباية التي لوجع كل الذهب الذي بأيدي الناس لم يبلغها⁽¹⁴⁾.

ومن الأخبار التي حققها ابن حزم و اثبت بطلانها سنداً ، وأولها حديث عائشة أن النبي صلى الله عليه و سلم ذكر عنده أن أناسا يكرهون استقبال القبلة بفروجهم . فقال الرسول صلى الله عليه و سلم « قد فعلوها استقبلوهاالقبلة »، الحديث في نظر ابن حزم باطل لأن خالدا الحذاء لم يدرك كثير من الصلت؟! (15) .

و أما الخبر الثاني فمفاده أن أسماء بنت عميس زوجة أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ، لما فرغت من تغسيل أبي بكر ، قالت لمن حضرها من المهاجرين أني صائمة ، و أن هذا يوم شديد البرد ، فهل علي من غسل ، قالوا: لا . هذا الحديث لا يثبت في نظر ابن حزم. لأن في سننه عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو. و هذا لم يكن ولد يوم مات أبو بكر الصديق و أبوه أيضاً⁽¹⁶⁾ .

أما الخبر الثالث ، و هو خبر له اسنادان ، موجه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان لا يجعل في المسح على الخفين وقتاً . و هذه الرواية ذكر في اسنادها حماد بن سلمة ، و عبد الله بن عمران ، ثم الصحابي عمر بن الخطاب فهذا الحديث منقطع لأن عبيد الله لم يدرك أحدا أدرك عمرا. فكيف عمر؟! (17) .

و في الإسناد الثاني عبد الرحمان بن مهدي ، و عبد الله بن المبارك ، و سعيد بن يزيد ، و يزيد بن ابي حبيب ، و علي بن رباح و شرحبيل بن حسنة بعثه بريداً إلى أبي بكر ، وهذا الخبر بهذا الاسناد معلول عند ابن حزم ، لأن يزيد بن أبي حبيب لم يسمعه من علي بن رباح و لا من أبي الخير⁽¹⁸⁾ .

و الخبر الرابع ، مفاده أن ابن وهب سمع زيد الحباب يذكر عن عمر بن الخطاب أنه قال : لو لبست الخفين ورجلاي طاهرتان و انا على و ضوء لم أبال أن انزعهما حتى ابليغ العراق.

هذا الخبر مقطوع عند ابن حزم ، لأن زيد بن الحباب العكي لم يلق أحدا رأى عمر فكيف عمر⁽²²⁾، ولأن عمر بن الخطاب (ت24 هـ) و زيد بن الحباب توفي سنة ثلاث و مائتين (19) .

و الخبر الخامس أن حماد بن سلمة بن عبيد الله بن عمر ، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كان لا يجعل في المسح على الخفين وقتا، و هذا الخبر في نظر ابن حزم منقطع، لأن عبيد الله بن عمر لم يدرك أحدا أدرك عمر فكيف عمر⁽²⁰⁾ ، ولأن عبيد الله عمر بن حفص بن عاصم مات سنة أربع أو خمس و أربعين و مائة، و عمر بن الخطاب توفي سنة 24 هـ. و الخبر السادس في اسناده جرير ، و جرير أسلم بعد الفتح: و لم يدرك قط بيعة النساء التي كانت قبل القتال ، و إسلام جرير كان بعد نزول المائدة⁽²¹⁾ .

و الشاهد السابع ، خبر في اسناده سفيان الثوري عن ابراهيم النخعي أن عمر بن الخطاب قال : « ادروا الحدود ما استطعتم ، و هذا الخبر عند ابن حزم مرسل ولا يصح من هذا الوجه » لأنه عن إبراهيم النخعي عن عمر ، و لم يولد إبراهيم إلا بعد موت عمر بنحو 15 عاما⁽²²⁾ .

والشاهد الثامن: خبر احتج به الشافعية في المختلس ، و فيه روايتان: الرواية الأولى عن زيد بن ثابت عن الزهري و لا تصح ، و لم يسمع الزهري من زيد كلمة.

و أما الثانية عن الشعبي عن عمر و عمار بن ياسر و هي مردودة حسب ابن حزم، لأن الشعبي لم يولد إلا بعد قتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، و لم يكن يعقل إذ مات عمار بن ياسر⁽²³⁾ .

و أما العاشر :خبر عن طريق عمر بن يحيى المازني عن معاذ بن رفاعة عن رجل من بني سلمة من أصحاب الرسول صلى الله عليه و سلم ، يقال له سليم « أنه أتى النبي صلى الله عليه و سلم فقال: يا رسول الله إنا نظل في أعمالنا فنأتي حتى نمسي فيأتي معاذ فيطول علينا- الصلاة-؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا معاذ لا تكن فتانا ؟ !! أي أن تخفف لقومك ، أو تجعل صلاتك معي » .

و هذا الخبر منقطع في نظر ابن حزم لأن معاذ بن رفاعه لم يدرك النبي صلى الله عليه و سلم و لم يدرك هذا الذي شكى الى رسول الله صلى الله عليه و سلم بمعاذ⁽²⁴⁾ .

كما اعتمد ابن حزم في نقده أيضا على الجغرافيا فمن ذلك معرفته للمسافة ما بين الكوفة و المدائن والمقدرة بنيف وستين ميلا ، والمسافة بين الكوفة و السواد والمقدرة بسبعين ميلا ، و من الكوفة الى واسط والتي تقدر بـ 150 ميلا ، و المدينة و خيبر و هي كقدر الاهواز من البصرة -مائة ميل واحدة غير أربعة أميال . وكذا المسافة من المدينة الى السويداء : اثنان و سبعين ميلا و 24 فرسخا⁽²⁵⁾ .

وختاما لما سبق، يتبين بأن ابن حزم قد اعتمد في نقده للروايات والأخبار على منهج النقد التاريخي المستمد من منهج علماء الحديث، بالإضافة إلى مجموعة من المعارف و العلوم المساعدة كعلم الحساب و التاريخ و الجغرافيا و طبائع العمران وهو ما جعله يتمتع بعقلية المؤرخ الناقد، ورائدا من رواد الفكر النقدي بالغرب الإسلامي.

الهوامش

- 1- هو علي بن حزم بن غالب أبو محمد، كان حافظا عالما بعلوم الحديث وفقهه مستنبطا للأحكام، من الكتاب والسنة، له مؤلفات كثيرة تربوع عن 400 في الفقه والحديث والتاريخ والأدب منها: كتاب "الفصل في الملل والأهواء والنحل" وكتاب الأحكام لأصول الأحكام" وكتاب "جمهرة أنساب العرب" وكتاب "المخلى بالأثر"، صاعدا لأندلسي: طبقات الأمم، تح: حيلة بوعلون، د: ط، دار الطليعة، بيروت، 1975م، ص: 183.
- 2- المعتزلة: فرق كلامية ظهرت في بداية القرن الثاني للهجرة في البصرة اعتمدت على العقل في تأسيس عقائدها -العقل -على النقل وتعتمد هذه الفرقة بان العقل والفطرة السليمة قادران على تمييز الحلال والحرام، وقد اختلفت المصادر حول تحديد أصل التسمية إلى عدة آراء، البغدادي عبد القاهر بن محمد: الفرق محمد: الفرق بين الفرق وبيان الفرق الناجية، تح: ألبرنادر، د: ط، دار المشرق، بيروت، لبنان، 1986، ص: 21-20، الشهرستاني: المصدر السابق، ج: 1، ص: 52.
- 3- المرجئة: الإرجاء في اللغة هو التأخير ومنه قوله تعالى: "قالوا أرجه وأخاه" الأعراف: 111، أي أمهله وأخره كما في قوله تعالى: "وأخرون مرجون لأمر الله" التوبة: 106، أي مؤخرون لأمر الله حتى ينزل فيهيم ما يريد، ابن منظور: جمال الدين محمد بن مكرم بن علي الأنصاري: لسان العرب، د: ط، دار صادر، بيروت، 1424هـ/ 2004م، ج: 1، ص: 84، ولها معنى ثان وهو إعطاء الرجاء والأمل، فكلا المعنيين له حظ في المعنى الإصطلاحي، الشهرستاني: الملل والنحل، ج: 1، ص: 139.

- 4-الكرامية:أتباع محمد بن كرام،أبو عبدالله ت255/هـ869م،ولد في سجستان وجاورمكة خمس سنين ،وله كتاب "عذاب القبر" وله عبارات في تبني عقيدة التجسيم،.البغدادى:المصدر السابق،ص:189.
- 5-الشيعة: لغة من التشيع و هم الصحب و الأتباع، أما في عرف المتكلمين من السلف و الخلف، فهم أتباع علي و بنيه رضي الله عنهم، و قد عرّفهم الشهرستاني بأنهم " هم من شايعوا عليا رضي الله عنه على الخصوص و قالوا بإمامته و خلافته نصا و وصية و اعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، و إن خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقية ..."، الشهرستاني : المصدر السابق، ج1، ص: 146.
- 6- أنظر كتابه الخلى بالآثار.
- 7- ابن حزم:الفصل،ج1،ص:209-2010.
- 8- أنظرحول منهج ابن حزم في جدال اليهود:عمادجمال عبيد،جهودابن حزم في جدال اليهود،رسالة ماجستير غير منشورة،غزة،فلسطين،1428هـ/2007م.
- 9-ابن حزم:الفصل،ج1،ص:242.
- 10- ابن حزم:الفصل،ج1،ص:275-276.
- 11- ابن حزم:الفصل،ج1،ص:241.
- 12 الفصل،ج1،ص:264.
- 13 الفصل،ج1،ص:162.
- 14- الفصل،ج1،ص:323.
- 15ابن حزم: الخلى بالآثار،تح.عبد الغفار سليمان البنداري،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،1405/هـ1984م،ج1،ص:192.
- 16- الخلى،ج1،ص:271.
- 17- الخلى،ج1،ص:327.
- 18- الخلى،ج1،ص:328.
- 19- نفس المصدر السابق.
- 20- الخلى،ج1،ص:327.
- 21- المصدر السابق،ج12، ص:14.
- 22- المصدر السابق، ج12، ص:59.
- 23- الخلى،ج12،ص:308.
- 24- الخلى، ج3، ص:148.
- 25- الخلى، ج3، ص:193-194.